

موعظة بعنوان

أخي لا تغفل عن آخرتك

تأليف

نَاصِرِ الدِّينِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ النُعيمِيّ




بسم الله الرحمن الرحيم
والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

أخي لا تغفل عن آخرتك

بسم الله وبه نستعين

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

أخي المسلم: لا تنسَ أن الذي خلقك قد تكفل برزقك، فكما كتب أجلك كتب رزقك، فأجلك مكتوب ورزقك مضمون يأتيك مادمت حيًّا، فليكن يقينك بالرزق كيقينك بالأجل فإن أمرهما إلى الله وحده، فلا تهتم للرزق فإن الرزق مضمون، ولا تغترَّ بالأمل فإن العمر محدود، ولا يُلهينَّك السعي على طلب رزقك ورزق عيالك عمّا خُلقت من أجله من عبادة الله وحده وإقامة شريعته، ولا يَشغلنَّك طلب الرزق عن طاعة الرزاق وطلب مرضاته، ولا تَهتمَّنَّ لقِلَّة الحلال فإن خزائن الله لا تنفد، ولا تكن ممن يطلب رزق الله بمعصيته فما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، ولا تغترَّنَّ بتكالب الناس على الدنيا فإن للدنيا أهلها وخدَمها، وللآخرة أهلها وعمّارها، وإن الدنيا قد خُلقت لنا ونحن خُلقنا للآخرة، فكُنْ من عُمَّار الآخرة ولا تكن من عُمَّار الدنيا فإن عمران الدنيا لا يدوم، ومصيرها وأهلها إلى الفناء، كذا قضى الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، ﴿ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [النحل: ٩٥-٩٦].

هذه حقائق لا شك فيها، عجبتُ واللهِ لحالنا كيف نسيناها وتغافلنا عنها؟!

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»(١).

وقال ﷺ لمن سأله عن عمل إذا عمله أحبَّه الله وأحبَّه الناس: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ اَلنَّاسِ يُحِبَّكَ اَلنَّاسُ»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى»(٣).

فتذكر أُخَيَّ يوم رحيلك من الدنيا، يوم تفارق أهلك وولدك، وتترك دارك ومالك، ولا يَتبعُك إلا عملك، ولا ينفعك إلا ما قدمت لآخرتك، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، وهو القلب الذي آثر الله عما سواه، وخاف ربه ورجاه، ونهى النفس عما تهواه.

فلا مفر لأحد من الموت، وقد يأتيك يا عبد الله بغتة وأنت غير مستعد له، فبادر بالتوبة والمسارعة في الخيرات واغتنام الفرص في طلب مرضاة رب الأرض والسموات، فكأني بك تعاني سكراته وكربه وآلامه، وترتقب من الله إحدى البشريين، إما البشرى برضا الله وثوابه، أو البشرى بغضبه وعقابه، فتستيقن حينئذ بنجاتك وفوزك، أو تستيقن بخسارتك وهلاكك، وينقطع رجاؤك وأملك، فتُحمل إلى أول منازلك في الآخرة، وهي التي كنت في الدنيا تبنيها

---

(١) رواه الترمذي وحسّنه، ورواه الإمام أحمد، والحاكم وصححه، والبغوي في شرح السنة وحسنه. «الْكَيِّسُ»: العاقل المتبصّر في الأمور، النّاظر في العواقب، «مَنْ دَانَ نَفْسَهُ» أي أذلها واستعبدها، وقيل: حاسبها، «مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا» أي جعل نفسه تابعة لهواها يعطيها كل ما تهوى وتشتهي، «وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ» بأنه كريم غفور رحيم، غني عنه وعن عمله، فلا يعاقبه بل يدخله الجنة ويعطيه ما يشتهي.

(٢) رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم وصححه.

(٣) رواه أحمد والبزّار وابن حبان والبيهقي والحاكم وقال عنه: صحيح على شرط الشيخين، قال الهيثمي في المجمع: "رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجالهم ثقات".

لنفسك، فإما نعيم وفرح وسرور، وإما جحيم وهمٌّ وضيق وعذاب أليم، إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النيران، فأي الحالتين سيكون في القبر حالك؟ وأي المصيرين سيكون بعد غد مصيرك؟ وكيف ستكون بعد قليل نهايتك؟

فاحذر يا أخي الدنيا وزينتها وزخرفها، واعلم أنك ما وُجِدت فيها إلا لتخرج منها، فلا تطمئن إليها ولا تنخدع بها، وكن منها على حذر، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس: ٧-٨].

فلو كان للدنيا عند الله قدر ما زواها عن أوليائه وأعطاها لأعدائه، قال ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»[١].

ألم تسمع قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ۝٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝٣٤ وَزُخۡرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٣٥﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥].

أي لولا أن يفتتن الناس بما عند الكفار فيكفروا جميعا، ويميلوا إلى طلب الدنيا ويتركوا الآخرة لجعل الله لبيوت الكفرة سُقُفًا ودَرَجًا وسلالم وأبوابا وسُررًا من فضة وذهب؛ وذلك لهوان الدنيا عند الله.

قال الحسن: لولا أن يكون الناس كفارا أجمعون، يميلون إلى الدنيا، لجعل الله تبارك وتعالى الذي قال، ثم قال: والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل ذلك، فكيف لو فعله[٢].

قال ابنُ عمرَ: لا يصيبُ عبدٌ من الدنيا شيئًا إلا نقصَ من درجاتِهِ عندَ اللهِ، وإن كان عليه كريمًا[٣].

---

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح غريب، ورواه ابن ماجه، والحاكم وصححه.

(٢) تفسير الطبري.

(٣) قال الحافظ في الفتح: "أخرجه ابن أبي الدنيا، وقال المنذري: سنده جيد".

قال الله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٤-٥٦].

يظن المغترون بالدنيا المنخدعون بها أن ما آتاهم الله فيها من المال والولد لكرامتهم عند الله، ﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبأ: ٣٥]، وما هي إلا فتنة وابتلاء واستدراج، ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٧].

فمن صبر على شهواتها وملذاتها، ولم يتعلق قلبه بزخرفها ومتاعها، ورغب عنها وزهد فيها، وشمّر إلى ما عند الله واثقًا بوعده راجيًا لقاءه، هم الذين يختارهم الله ليكونوا قادة الناس إلى الخير، وأئمتهم في ذلك، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

فسبحان من امتحن قلوب أوليائه للتقوى، وأعدَّ نفوس عباده المؤمنين بالابتلاء والتمحيص، وحفَّ طريق الجنة بالمكاره، وقضى أن الإيمان لا يرسخ في القلوب وأن العقيدة لا تعِزُّ على أصحابها وأن النفوس لا تخلص إلا بالابتلاء والتضحيات بالنفس والمال والولد، قال الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ١-٣]. وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ١٥٥].

والله يُعوِّض المبتلين في سبيله بأعظم مما أُخذ منهم، قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

ففي هذا الطريق يمرُّ على المسلم لحظات من الخوف والمطاردة والملاحقة حتى لا يكاد يجد من أهل الأرض وليًّا ولا نصيرًا، ولا ينال في هذه الأرض الواسعة ملجأً ولا ملاذًا آمنًا يأوي إليه، وفي هذا الطريق يمرُّ على المسلم لحظات من الجوع لا يجد ما يملأ بطنه ويُسكن جوعه إلا كسيرات خبز يابسة أو رديء طعام، وقد لا يجد إلا ورق الشجر فيأكله ويحمد الله على قضائه وقدره، وعلى قدر الدِّين والإيمان يُبتلى الرجال.

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ أَوِ الْحَبَلَةِ حَتَّى يَضَعَ أَحَدُنَا مَا تَضَعُ الشَّاةُ(١).

وفي هذا الطريق تأتي على المسلم لحظات يفقد فيها إخوانه الذين يحبهم في الله، ويراهم يُقتلون ويؤسرون ويعذبون وهو ينتظر دوره، ولا ملجأ له من الله إلا إليه.

ففي هذا الطريق أُلقى إبراهيم في النار وهو خليل الله، وأوذي قبله نوح وضربه قومه حتى أدموه وهو أول رسل الله، وأُخرج لوط من قريته، ونشِّر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وطُورد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى ساح في الأرض فجاع ولا طعام حتى قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤﴾ [القصص: ٢٤].

وأوذي ﷺ شتى أنواع الإيذاء، فخُنِقَ بردائه خنقًا شديدًا حتى كادت روحه تخرج، ووُضع عليه سَلَا جزور(٢) وهو ساجد لربه، ووُضع الشوك في طريقه، وحُوصر في شِعْبِ(٣) أبي طالب هو وأصحابه ومن معهم حتى جُهِدوا جَهْدًا شديدًا وجاعوا فلم يجدوا ما يأكلون

---

(١) رواه البخاري، والحُبلة: هي ثَمَر العضَاة، والعضاة: كل شجر من شجر الشوك كالطلح والعوسج، «حَتَّى يَضَعَ أَحَدُنَا مَا تَضَعُ الشَّاةُ» يريد أن أحدهم كان إذا قضى حاجته ألقى شيئًا كالبعر الذي تلقيه الشاة من شدة خشونة المأكل لأنهم كانوا في ذلك الوقت في قلة وضيق معيشة ولم يكن لهم طعام إلا ورق الحبلة.

(٢) السَّلا: الغشاء الذي يكون على الحُوَار (ولد الناقة) بعد نزوله من بطن أمه، والجَزُور: الناقة.

(٣) الشِّعْبُ: هو ما انفرج بين جبلين، وهو منزل بني هاشم ومساكنهم من مكة، وهو الذي حاصر فيه المشركون رسول الله ومن معه من المسلمين وبني هاشم.

إلا أوراق الشجر، وترك ﷺ وطنه وداره، ومرَّت عليه أيام لا يجد فيها طعامًا يسُدُّ جوعه، وكان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يأكل خبز الشعير غير منخول، ويأكل رديء التمر، وينام على الحصير حتى يؤثر في جنبه، و كان فراشه من أدم حشوه ليف(١)، وما سأل الله الدنيا، ولا التفت إليها، ولا نافس أهلها فيها، وكان يدعو ربه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»(٢)، وكان يقول لمن يعاتبه في ذلك: «مَا لِي ولِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»(٣).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ شِبَعًا قَطُّ، وَلَمْ يَبُثَّ شَكْوَى إِلَى أَحَدٍ، وَكَانَتِ الْفَاقَةُ(٤) أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى، وَإِنْ كَانَ لَيَظَلُّ جَائِعًا يَلْتَوِي طُولَ لَيْلَتِهِ مِنَ الْجُوعِ فَلَا يَمْنَعُهُ صِيَامُ يَوْمِهِ، وَلَوْ شَاءَ سَأَلَ رَبَّهُ جَمِيعَ كُنُوزِ الْأَرْضِ، وَثِمَارِهَا، وَرَغَدَ عَيْشِهَا، وَلَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي لَهُ رَحْمَةً مِمَّا أَرَى بِهِ، وَأَمْسَحُ بِيَدِي عَلَى بَطْنِهِ مِمَّا بِهِ مِنَ الْجُوعِ، وَأَقُولُ: نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ، لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَقُوتُكَ! فَيَقُولُ: «يَا عَائِشَةُ، مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، إِخْوَانِي مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ صَبَرُوا عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا، فَمَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ، فَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ، فَأَكْرَمَ مَآبَهُمْ، وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُمْ، فَأَجِدُنِي أَسْتَحْيِي إِنْ تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي أَنْ يُقَصِّرَ بِي غَدًا دُونَهُمْ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِإِخْوَانِي وَأَخِلَّائِي» قَالَتْ: فَمَا أَقَامَ بَعْدُ إِلَّا شَهْرًا حَتَّى تُوُفِّيَ ﷺ(٥).

ولو تأملت حاله وهو يقول لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في مرض له، والحديث يرويه أبو أُمامَة بن سَهل، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمًا عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: لَوْ رَأَيْتُمَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ

---

(١) الْأَدَمُ: الجلد المدبوغ، والْلِّيفُ: هو ما يستخرج من النخيل ويصنع منه الحبال.

(٢) رواه البخاري ومسلم. قوتًا: أي قدر ما يمسك الرمق، وقيل القوت هو الكفاية من غير إسراف، وفيه بيان أن الكفاف أفضل من الغنى لأن النبي ﷺ إنما يدعو لنفسه بأفضل الأحوال.

(٣) رواه الترمذي وقال حسن صحيح، ورواه أحمد، والحاكم وصححه.

(٤) الفاقة: الحاجة الملازمة المقتضية للصبر.

(٥) أورده القاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَرَضٍ مَرِضَهُ، قَالَتْ: وَكَانَ لَهُ عِنْدِي سِتَّةُ دَنَانِيرَ - قَالَ مُوسَى أَوْ سَبْعَةٌ - قَالَتْ: فَأَمَرَنِي نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أَنْ أُفَرِّقَهَا، قَالَتْ: فَشَغَلَنِي وَجَعُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ حَتَّى عَافَاهُ اللَّهُ، قَالَتْ: ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْهَا، فَقَالَ: «مَا فَعَلَتْ السِّتَّةُ؟ قَالَ: أَوْ السَّبْعَةُ؟» قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ شَغَلَنِي وَجَعُكَ، قَالَتْ: فَدَعَا بِهَا، ثُمَّ صَفَّهَا فِي كَفِّهِ، فَقَالَ: «مَا ظَنُّ نَبِيِّ اللَّهِ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ وَهَذِهِ عِنْدَهُ»(١).

فإن كان هذا خوف رسول الله ﷺ من ستة دنانير أو سبعة، يخشى الحساب عليها والسؤال عنها، فما ظنك برجل خلّف الآلاف وراء ظهره، كان قد شغله جمعها عن طاعة ربه، وطلب مرضاته، وتحقيق عبادته، وتزكية نفسه، فيا مَن إذا سُئل عمّا قدم لدين الله يعتذر بالفقر، والفاقة وقلة المال، هل شغل ما كان برسول الله وصحابته من الفاقة والشدة عن العمل لدين الله والاجتهاد في طاعته؟.

ويا من ضيع خيرة عمره في الكسب وجمع المال بقصد تحسين ظروف معيشته و أسرته، وانشغل بذلك عن العلم والاجتهاد والدعوة إلى دين الله، هلّا كان جِدّك واجتهادك في إصلاح دينك وقلبك وتزكية نفسك وتربية ولدك والعمل لأخرتك، فإن قلت لا بد من الكسب و السعي على العيال، فهلّا جعلت العمر مناصفة بين إصلاح دينك ودنياك.

و لكن الأمر كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [القيامة ١٥-١٤].

ولهذا فإن الإنسان إذا عاين حقائق الآخرة ورأى جهنم عيانًا، يتذكر ويقول: ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفجر: ٢٤].

فهيّا - أخي - قبل فوات الأوان سارع إلى مرضاة ربك، وليكن همك دينك فهو رأس مالك، إذا أضعته خسرت خسارة لن تربح بعدها أبدًا، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ

(١) رواه أحمد، وابن حبان، والبيهقي في سننه.

ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج:١١].

و إذا ربحته فزت فوزًا لا خسارة بعده، قال تعالى: ﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج: ١١].

فاجتهد فيما يقربك إلى الله، وبادر بتوبة نصوحٍ قبل أن يغلق بابها فلا يفتح أبدا، وتضرّع إلى الله بالغدو والآصال وفي سائر الأوقات، وادعوه خوفا وطمعا، واسأله سبحانه العون والسداد والتوفيق في أمورك كلها، واغتنم أوقات الإجابة فإن لله ساعات تُفتح فيها أبواب السماء، ولا يُرد فيها لمسلم دعاء، كجوف الليل ودُبُر الصلوات وبالأسحار، وليكن دعاؤك دعاء فقر ومسكنة وإلحاح، بنية صادقة وقلب حاضر خاشع، فإن الدعاء إذا صادف خشوعا في القلب، وانكسارا بين يدي الرب، وذلا له وتضرعا، وكان في أوقات الإجابة، وبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ، وقدّم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، وألحَّ في مسألته إلحاح الغريق الذي تقطعت به أسباب النجاة، ودعا ربه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدّم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدا.

أسأل الله الكريم الحليم المنان أن يصلح حالنا وحال إخواننا المسلمين في كل مكان، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى من صالح الأقوال والأعمال، وأن يجمع شملنا ويوحد صفنا ويمكن لنا ديننا الذي ارتضاه لنا، وأن يقينا شر الفتن فتن الشهوات والشبهات ما ظهر منها وما بطن، إنه قريب مجيب سميع الدعاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.


مكتبة أنوار التوحيد
www.alanwor.com